

تفسير البحر المحيط

@ 590 @ طريق التوبيخ والتقريع عن مجادلته في ا] ولا يحسن النزاع فيه ، لأن ا] هو ربنا كلنا ، فالذي يقتضيه العقل أنه لا يجادل فيه . ثم ذكر أنه رب الجميع ، وأشار إلى أنه يجازى الجميع بقوله : { وَلَدَنَا أَعْمَالُنَا وَلَدَكُمْ أَعْمَالُكُمْ } . ثم ذكر ما انفردوا به من الإخلاص له ، لأن اليهود والنصارى غير مخلصين له في العبادة . ثم استفهمهم أيضاً على جهة التوبيخ والتقريع ، عن مقالته في إبراهيم ومن ذكر معه ، من أنهم كانوا يهوداً ونصارى ، وأن دأبهم المجادلة بغير حق ، فتارة في ا] وتارة في أنبياء ا] . ثم بين أنهم لا علم عندهم بل ا] هو أعلم به . ثم بين أن تلك المقالة لم تكن عن دليل ولا شبهة ، بل مجرد عناد ، وأنهم كاتمون للحق ، دافعون له ، فقال ما معناه : لا أحد أظلم من كاتم شهادة استودعه ا] إياها ، والمعنى : لا أحد أظلم منكم في المجادلة في ا] ، وفي نسبة اليهودية والنصرانية لإبراهيم ومن ذكر معه ، إذ عندهم الشهادة من ا] بأحوالهم . ثم هدّدهم بأن ا] تعالى لا يغفل عما يعملون . .

ثم ختم ذلك بأن تلك أمّة قد خلت منفردة بعملها ، كما أنتم كذلك ، وأنكم غير مسؤولين عما عملوه ، وجاءت هذه الجمل من ابتداء ذكر إبراهيم إلى انتهاء الكلام فيه ، على خلاف معانيه وتعدّد مبانيه ، كأنها جملة واحدة ، في حسن مساقها ونظم اتساقها ، مرتقية في الفصاحة إلى ذروة الإحسان ، مفصحة أن بلاغتها خارجة عن طبع الإنسان ، مذكّرة قوله تعالى : { قُلْ لِّلَّذِينَ اجْتَنَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَآذِهِ الْقُرْءَانِ } . جعلنا ا] ممن هدى إلى عمل به وفهم ، ووفى من تدبره أوفر سهم ، ووفى في تفكره من خطأ ووهم . .

ص 2 ({ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَهُمْ عَن قِبَلَاتِهِمْ^١ السَّتَّى كَانُواْ عَلَيْهِهَا قُلْ لِّلّٰهِ الدَّمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْهِكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقُبُلَآةَ السَّتَّى كُنتَ عَلَيْهِهَا إِلَّا لِّلذِّعْلَامِ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَيْهِ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَوَلَكَيْهٖ زُفْرَةٌ لَّآتَتْهُ الْوَيْحُ لَوَافٍ * قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ قِبْلَةٌ بَعْضٍ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ إِنِّي إِلَٰهٌ مُّذِيقٌ لِّلنَّاسِ آيَاتِهِ إِنَّهُمْ يُدْعَوْنَ إِلَى فُرْقَانٍ كَمَا يُدْعَوْنَ إِلَىٰ ذِي بِلَآءٍ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهُ لِيَكُونُوا لِّلْكَافِرِينَ أَلِئِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَلَا تَبْدِيلَ لَهُ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنِّي لَهُ لَالْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ